**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير التسهيل لابن جُزي**

**معاني اللغات (الغريب)**

**(14- ب) حرف الباء من قوله: بدأ إلى حرف الباء قوله: تبارك**

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

قال -رحمه الله تعالى-: بدأ -بالهمز- من الابتداء، ويقال: بدأ الخلقَ، وأبدَأَه، وقد جاء في القرآن بالوجهين.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول: بدأ: من الابتداء، ويقال: بدأ الخلقَ، يعني: خلقهم على غير مثال سابق، **{قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ}** [العنكبوت: 20]، فهذه المادة تدل على افتتاح الشيء، تقول: بدأت بالأمر، بدأت بالكتابة، بدأت بالدرس، ونقول: الله -تبارك وتعالى- هو: المُبدئ، والبادي، بدأ الخلق، وأوجدهم على غير مثال، قال تعالى: **{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}** [الأعراف: 29]، كما أنشأكم أول مرة، **{إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}** [يونس: 4]، وهكذا قوله: **{فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ}** [يوسف: 76]، إلى غير ذلك من الآيات، **{وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ}** [السجدة: 7]، أي: البداية، فبدأ بهذا المعنى.

قال -رحمه الله تعالى-: بَغَى: له معنيان: العدوان على الناس، والحسد، البِغاء -بكسر الباء-: الزنا، ومنه: امرأة بغيٌّ، أي: زانية، وابتغى الشيء وبغاه، أي: طلبه.

بَغَى: هذه المادة ترجع إلى معنى: طلب الشيء، والثاني عبر عنه ابن فارس -رحمه الله- بأنه جنس من الفساد، لاحِظْ ذلك في معنى: البَغْي، والمرأة البغيّ.

فالأصل الأول: طلب الشيء، فقوله: **{مَا نَبْغِي}** [يوسف: 65] ما معناه؟ يقال: ما ينبغي لفلان أن يفعل كذا، يعني: ما يصلح له، ما يسوغ له، ويقال: انبغى الشيء: تيسر وتسهل، انبغى لفلان أن يفعل كذا، ينبغي لك أن تفعل كذا، يعني: يصلح لك، ينبغي لمثلك كذا، لا ينبغي لمثلك: لا يصلح، ولا يجوز.

فقوله: **{لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ}** [يس: 40]، هذا معناه: لا يسهل، لا يتيسر، ولا يكون، لا يقع، **{وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي}** [ص: 35] لا يتيسر لأحد من بعدي، لا يكون لأحد من بعدي، **{قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ}** [ص: 22]، هنا معناه الذي ذكره ابن جُزي: العدوان على الناس، **{بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ}**، وهذا الذي عبر عنه ابن فارس بأنه: جنس من الفساد، بغى عليه إذا ظلم، وتعدى، تعدى الحق فيه، واستطال عليه، فهذا كله يقال له: بغْي، **{فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}** [يونس: 23]، فهذا كله من الفساد، **{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ}** [القصص:76]، من العدوان، والتطاول، والظلم، **{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ}** [البقرة: 173]، يعني: على اختلاف عبارات المفسرين لكن نقول: غيرَ طالب لها إلا للضرورة، ولا متعدياً حدود الضرورة؛ لأنه هنا ذكر: البغي والعدوان، ما الفرق بين البغي والعدوان؟ بعضهم يقول: البغي أن يكون طلبه لهذه الميتة أو المحرمات من المطعومات بحال الضرورة، فإن أخذها وتعاطاها أو تناولها لغير الضرورة فهذا من البغي، وأما العدوان فأن يتجاوز حد الضرورة، يعني: من يقول: سد الرمق، فإن أخذ أكثر، أو كانت صفة التعاطي لها تدل على غير حال الاضطرار، كالذي يتفنن في صنع الطعام منها، يدل على أنه كأنه فرحٌ بهذا، أو نحو ذلك، فهذا كله من البغي والعدوان، أو كان -كما يقول بعضهم- سفره محرماً، أو قاطع طريق، أو نحو ذلك، فليس له أن يترخص، بصرف النظر على كل حال عن الفرق.

وفي قوله -تبارك وتعالى-: **{ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ}** [الحج:60]، يعني: اعتُدي عليه وظُلم، **{فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى}** [الحجرات: 9] يعني: استطالت واعتدت، لكن قوله: **{وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ}** [النور: 33]، هذا المعنى الثاني الذي ذكره ابن جُزي قال: الزنا، هذا الذي يعبر عنه أيضاً ابن فارس بأنه يقال للفساد، أيًّا كان، فهذا الزنا هو من أعظم الفساد، والبغاء: يقول ابن جُزي هنا: امرأة بغيٌّ، أي: زانية، والمشهور: أن البغاء ليس مطلق الزنا، وإنما بقيد: الزنا بأجرة، الزنا بأجرة يقال له: بغاء، من غير أجرة يقال له: زنا، وفاحشة، ونحو ذلك، فالبغاء: الزنا بأجرة، **{وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ}** [النور: 33]، عبد الله بن أُبي كان عنده جاريتان، فكان يكرههن على الزنا بأجرة، يتكسب من ذلك.

وفي قوله -تبارك وتعالى-: **{وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ}** [التوبة: 47]، ما معناه؟ لاحظ: المعنى الأخير الذي ذكره ابن جُزي، ما هو؟ طلب الشيء، **{يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ}** يعني: يطلبون لكم الفتنة، وقوله: **{خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}** [الكهف: 108]، لا يطلبون التحول عنها؛ لأن الإنسان مجبول على السآمة، ولو كان منغمساً في اللذات، لكن هناك لا يطلبون التحول عن الجنة، لا يسأمون منها، ومن مقامهم فيها، وقوله: **{قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا}** [الأعراف: 140] يعني: أطلب لكم، هذا بمعنى: الطلب، قال: **{مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ}** [الحديد: 27] يعني: طلب مرضاته، فهذا طلب، وقوله: **{إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى}** [الليل: 20] طلب كذلك أيضاً.

وأما في قوله: **{مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا}** [يوسف: 65]، فيحتمل هنا: فيمكن أن تكون "ما" نافية، **{مَا نَبْغِي}** أي: ما نكذب وما نظلم، أو أنها: استفهامية، **{مَا نَبْغِي}**؟ ماذا نريد؟ ماذا نطلب؟ **{هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا}** [يوسف: 65]، وقوله: **{بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}** [البقرة: 90] يعني: حسداً، والحسد مع العدوان بينهما ملازمة، فإن العدوان أثر من آثار الحسد، ونتيجة عنه، **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ}** [يونس: 23] يعني: أن ظلمكم وفسادكم، **{ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ}** [الأنعام: 146] بظلمهم، ونحو ذلك، فهذا كله بمعنى الظلم، والله أعلم.

قال -رحمه الله تعالى-: بثّ الحديث وغيره: نشره، والمبثوث: المنتشر، مبثوثة: متفرقة، والبث: الحزن الشديد، ومنه: **{أَشْكُوا بَثِّي}** [يوسف: 86].

البث يرجع إلى معنى: تفريق الشيء، وإظهاره، التفريق والإظهار، فالبث: التفريق والإظهار، بثثتُ الحديث يعني: نشرتُه، والبث: من الحزن، ما وجه التعبير عنه بالبث؟ ما وجه الارتباط بينه وبين النشر؟ وجه الارتباط في أصل المعنى الذي يذكره ابن فارس -رحمه الله-؛ لأنه يُظهر هذا الحزن، فيذكره لغيره، فهذا البث كما نقول: يفضفض ما في نفسه، وما في قلبه من الهم، ومن الحزن، ونحو ذلك، يُنفِّس عنه، هذا يقال له: بث، فيعقوب -صلى الله عليه وسلم- يقول: **{إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي}** [يوسف: 86]، فهذا الذي يُبَث وهذا الحزن أشكوه إلى الله -تبارك وتعالى-، والله -تبارك وتعالى- يقول: **{وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ}** [لقمان: 10]، لاحظوا: ابن جُزي هنا يقول: المبثوث: المنتشر، مبثوثة: متفرقة، البث: الحزن الشديد، كل هذا يرجع إلى معنى: التفريق أو النشر، ونحو ذلك، كله يرجع إليه، **{وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ}** [لقمان: 10] يعني: نشر، **{وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً}** [النساء: 1] يعني: النشر كذلك، **{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ}** [يوسف: 86]، كما سبق: الهم الذي يُفضي به أو الحزن الذي يُفضي به إلى غيره، **{وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ}** [الجاثية: 4] يعني: ينشر، **{فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا}** [الواقعة: 6] متفرقاً منتشراً، **{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}** [الغاشية: 16] يعني: مفرقة، وقوله -تبارك وتعالى-: **{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}** [القارعة: 4] يعني: المفرق، فكله يرجع إلى معنى: التفريق، فما ذكره ابن جُزي هنا: المبثوث: المنتشر، مبثوثة: متفرقة، إلى آخره، يرجع إلى معنى واحد، والله أعلم.

طيب، في قوله -تبارك وتعالى-: **{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ}** [يوسف: 86]، جمع بين البث والحزن، فالبث: ما يُبَث **{إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي}** [يوسف: 86]، فالبث: يقال للهم والحزن، وما يجتمع في الصدر، فيقال له: بث، فهنا عُبر عنه بأنه بث، وسُمي بالبث؛ لأنه يمتلئ به الصدر، وإنما يحصل به التنفيس عادة حينما يذكره لغيره، يُفضي به، الذي نقول له نحن: يفضفض، يُفضي به إلى غيره، يذكره لغيره، فيخف عليه، فسُمي بذلك، ما هذا الذي يمتلئ به الصدر؟ تارة الحزن، وتارة الهم، فالحزن: يكون من أمر سابق، والهم: يكون لأمر مستقبل، هذا هو الهم؛ ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- استعاذ من الحزن، والهم**([[1]](#footnote-1))**، كل هذا؛ لأنه يطال الإنسان من أمور مضت، أو من أمور يتوقعها، ويستثقلها، ولو لم تكن من المكروه، الصحيح: أنه لا يقيد بالمكروه بالنسبة للهم، فقد يكون أمراً محبوباً، لكنه يحمل همه، كالنكاح مثلاً، يحمل همه، أو نحو هذا، لكن قد لا يخلو من أمر يتخوفه مما يحتفّ به؛ لكون هذه اللذات مجبولة على نوع من الكدر لا تصفو إلا في الجنة، لا توجد مصالح خالصة، فهذا الذي يصاحبها قد يكون هو سبب الهم، وبعض الناس يحمل هم الأكل؛ لغلبة الكسل عليه، هذا موجود، يحمل هم الأكل، مع أنه يستلذ بالأكل، ومع ذلك يحمل همه؛ لأنه يكسل.

قال -رحمه الله تعالى-: بوّأ: أنزل الرجلَ منزلاً، ومنه: **{وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ}** [الأعراف: 74]، **{لَنُبَوِّئَنَّهُمْ}** [النحل: 41]، و**{مُبَوَّأَ}** [يونس: 93].

هنا ذكر معنى واحدًا، وهو: الإنزال، وابن فارس -رحمه الله- يُرجع ذلك إلى أصلين:

الأول: الرجوع إلى الشيء.

والثاني: تساوي الشيئين.

فالرجوع إلى الشيء أعاد إليه كثيراً من الألفاظ والاستعمالات، فالمَباءة مثلاً: ما علاقتها بالرجوع؟ المَباءة: منزلة القوم، يبوء إليها الإنسان عندما يتفرق في حاجاته، فيرجع إلى هذا المكان والمنزل، **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ}** [الحشر: 9]، استوطنوا المدينة، وسكنوا المدينة، قيل لذلك: مَباءة؛ لأن الإنسان بعدما يتفرق في حاجاته، ويذهب، وينتقل، وينتشر، يرجع إليها، يقول الشاعر:

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوي \*\*\* إلى بيتٍ قعيدتُه لَكاعِ

فيُطوِّف في حاجاته، ثم يرجع إلى هذا المكان، فهو: مَباءة بالنسبة إليه، بمعنى: الرجوع، ومن هنا يقال: باء فلان بذنبه، كأنه عاد إلى مَباءته محتملاً لذنبه، عاد هكذا يمكن أن يُربط بمعنى: الرجوع، والعود للشيء.

وتأمل هذه الأمثلة: في قوله -تبارك وتعالى-: **{أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ}** [آل عمران: 162]، باء يعني: رجع، **{وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ}** [البقرة: 61]، يعني: رجعوا بغضب، فهذا بمعنى: الرجوع، **{إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ}** [المائدة: 29]، تبوء يعني: ترجع.

وأما التساوي بين الشيئين فيقولون: إن فلاناً لبَوَاء بفلان، يعني: أنه مكافئ له، لو قُتل به لكان مساوياً، يكافئه في الدم، بَوَاء يعني: سواء، يقولون: هم في هذا الأمر بَوَاء، يعني: نظراء، هم سواء، مع أن بعض أهل العلم كالقرطبي -رحمه الله- يُرجع معنى ذلك أيضاً إلى معنى: الرجوع، حتى هذا يرى أنه يرجع إلى شيء واحد، وهو: الرجوع، فعنده مثل هذه الأمثلة والعبارات المعروفة عند العرب يقول: البَوَاء هو: الرجوع بالقَوَد، أي: القصاص، وقولهم: هم في هذا الأمر بَوَاء يقول: سواء يرجعون فيه إلى معنى واحد، لاحظ: أعاده إلى معنى: الرجوع.

فلغة العرب واسعة جدًّا، وكلما أمعنت النظر في المعاجم والقواميس اللغوية فإنك لا ينقضي عجبك من سعتها، وكثرة ضروب الاستعمال فيها، فهي أوسع اللغات، وأقدر اللغات على استيعاب المصطلحات العلمية، وكثير مما يقوله الناس، ويتكلمون به يرجع إلى أصول لغوية، وإن كانوا لا يعلمون ذلك.

على كل حال: القرطبي يُرجع ذلك إلى معنى واحد، وابن عاشور يقول: التبوء: مثل: **{تَبَوَّءُوا الدَّارَ}**: اتخاذ المَبَاءة، وهي: البقعة التي يبوء إليها صاحبها، يرجع إليها بعد انتشاره في أعماله، كما سبق، فابن فارس يرجعه إلى معنيين، والقرطبي يرجعه إلى معنى واحد، وابن جُزي -رحمه الله- هنا ذكر معنى واحدًا، لكنه ليس الأصل الذي ترجع إليه الاستعمالات، لكنه قال: بوّأ: أنزل الرجلَ منزلاً، **{وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا}** [الأعراف: 74]، يعني: أنزلكم، وبعضهم يقول: مكّن لكم، يفسرونه بهذا، **{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ}** [يونس: 93] يعني: أنزلناهم مكاناً موافقاً مرضيًّا، **{وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ}** [يوسف: 56] يعني: ينزل من بلاد مصر حيث يشاء، يعني: من فسره بأنه مكّنا فهذا يرجع إلى التمكين؛ لأنه لا يسكن حيث شاء إلا من كان متمكناً، فهذه المعاني متلازمة، فبعضهم يعبر عنه بهذا، وبعضهم يعبر عنه بهذا، ولا إشكال، كل ذلك صحيح، **{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}** [النحل: 41]، يعني: لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة، فصارت لهم تلك المنزلة التي لا يصل إليها أحد ممن جاء بعدهم من المهاجرين **{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ}** [التوبة: 100]، فصارت لهم مرتبة في الإيمان ليست لغيرهم، وكذلك ما حصل لهم من الفتوح، والغنى بعد الفقر، **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا}** [العنكبوت: 58] أي: لننزلنهم في غرف الجنة، **{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ}** [الحج: 26] يعني: هيأنا له، **{وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ}** [الزمر: 74]، أي: ننزل ونتخذ الجنة مسكناً، على خلاف في معنى الأرض، هل هي الأرض هذه؟ يعني: أن الله خلقنا، وأوجدنا فيها، فهي: مزدرع للآخرة، يُفضي بنا العمل فيها إلى الجنة، وثواب الجنة؟ أو أن المقصود بالأرض: أرض الجنة؟ **{وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ}** [الزمر: 74]، كما قال عن يوسف -صلى الله عليه وسلم-: **{يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ}** [يوسف: 56]، وهكذا تقول: بوّأتُ فلاناً منزلاً يعني: أنزلته فيه، بوّأته له يعني: هيأته له، كل هذا متقارب، بوّأتُه فيه: مكنته فيه، بحسب التعدية، **{تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ}** [آل عمران: 121]، يعني: تُنزِّل كلًّا منهم مكاناً، الذي هو: تعبئة الصفوف، وهكذا البيئة مثلاً، لماذا قيل لها: بيئة؟ البيئة هي: المنزل، وصار يُعبر بها بما هو أوسع من ذلك: ما يُحيط بالإنسان، فما يحيط به يقال له: بيئة، والنكاح يقال له: باءة، بأي اعتبار؟ ما علاقة الباءة بهذا المعنى الذي هو: الرجوع، أو ما يتصل به؟ يقال: لأن الرجل يتبوأ من أهله، يعني: يستمكن منها، كما يتبوأ من داره، وهو المباءة: المكان الذي يتخذه الإنسان للسُكنى والإقامة، والله أعلم.

قال -رحمه الله تعالى-: بوار: هلاك، ومنه: **{قَوْمًا بُورًا}** [الفرقان: 18] أي: هلكى.

ابن فارس -رحمه الله- يُرجع ذلك إلى أصلين:

الأول: هلاك الشيء وما يشبهه من تعطله وخلوه.

الآخر: ابتلاء الشيء وامتحانه، يقال: نزل بوارٌ على الناس، يعني: بلاء، وتقول: بُرتُ فلانًا يعني: جربته واختبرته، وبُرتُ الناقة إذا أدينتها من الفحل؛ لتنظر أحامل أم حائل، يعني: إذا قُربت من الفحل فإنها ترفع ذيلها، يعني: للإشارة إلى أنها حامل، فيُعرِض عنها الفحل، فحينما تُعرَض النوق على الفحل هكذا تفعل، فكلما قربت واحدة شالت بذنبها، فيعرف أنها قد لقحت، فيُعرِض عنها، يقال: بُرت الناقة، فعلى كل حال: هذا بمعنى: الاختبار، والامتحان، والابتلاء.

ففي قوله -تبارك وتعالى-: **{وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ}** [إبراهيم: 28]، هنا البوار هل هو بمعنى: الامتحان أو الهلاك؟ بمعنى: الهلاك، **{حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا}** [الفرقان: 18] يعني: هلكى، **{وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا}** [الفتح: 12]، وقوله -تبارك وتعالى-: **{يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ}** [فاطر: 29] يعني: لا يصيبها الكساد، والخسارة، فهذا يرجع إلى معنى: الهلاك، **{وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ}** [فاطر: 10] يعني: يبطل، ويذهب، فهو يرجع إلى معنى: الهلاك.

فهذان معنيان: الهلاك، والامتحان، لكن ابن جُزي -رحمه الله- ذكر: الهلاك، من أجل أن المعنى الآخر، وهو: الامتحان، جاء في كلام العرب، لكنه لم يأتِ في القرآن.

طيب، وقولك: أرض بوار يعني: ليس فيها شيء، ليس فيها نبت، ولا زرع، والله أعلم.

قال -رحمه الله تعالى-: باء بالشيء: يرجع به، وقد يقال: بمعنى: اعترف.

هذا لو ذكره بعد المادة التي سبقت، وهي: بوّأ، كان أفضل، فإن ذلك يرجع إلى نفس المعنى، وقد أشرت إليه في الكلام هناك، قلنا: باء بمعنى: الرجوع، ومعنى: تساوي الشيئين، **{فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَب}** [البقرة: 90] يعني: رجعوا.

يقول: وقد يقال: بمعنى: اعترف، والواقع: أن الاعتراف: رجوع، فهذا كله يرجع إلى معنى: الرجوع، وقلت: إن القرطبي يُرجع حتى المعنى الآخر الذي هو: التساوي إلى الرجوع.

قال -رحمه الله تعالى-: بأساء: الفقر، والبؤس، والشدة، والمحنة، والبائس: الفقير، من البؤس، والبأس: القتال، والشجاعة، والمكروه، وبأس الله: عذابه، وبِئس: كلمة ذم.

هنا البأس، أصل هذه المادة يرجع إلى معنى: الشدة، وما قاربها، فما ذكره ابن جُزي -رحمه الله تعالى- يرجع إلى هذا، فالفقر: البؤس بمعنى: الشدة، وما ذكره من المحنة؛ فلِمَا فيه من الشدة، والبائس: الفقير، من البؤس: شدة الحاجة، والبأس يعني: القتال؛ لما فيه من الشدة، ويقال: فلان شديد البأس يعني: الشجاعة، والقوة؛ لما في ذلك من الشدة على العدو، وهكذا أيضاً يقال: بأس الله: عذابه، ومن هنا جاءت كلمة: بِئس، فهي: كلمة ذم.

ففي قوله: **{وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}** [الأعراف: 165]، أي: شديد، **{فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** [هود: 36]، ابتأس الرجل: إذا حزن، واشتد عليه الأمر، **{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا}** [النساء: 84] يعني: ضراوة هؤلاء الأعداء، **{لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا}** [الكهف: 2] يعني: عذاباً شديداً، **{وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ}** [البقرة: 177] الفقر والشدة، على خلاف بين المفسرين في تفاصيل ذلك، وهكذا في قوله: **{مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ}** [البقرة: 214]، **{وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ}** [الحج: 28]، وقوله: **{وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا}** [الأحزاب: 18] يعني: الحرب، قيل لها ذلك؛ لما فيها من الشدة، وقوله: **{فَمَنْ يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ}** [غافر: 29] يعني: من عذاب الله، وهكذا قد تأتي كلمة ذم: **{بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ}** [هود: 99]، **{بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}** [الكهف: 29]، **{بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا}** [الكهف: 50]، **{بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ}** [الحجرات: 11]، إلى غير ذلك.

قال -رحمه الله تعالى-: برزخ: شيء بين شيئين، والبرزخ: ما بين الموت والقيامة.

إذن: هذا المعنى الذي ذكره ابن جُزي -رحمه الله- واحد، الحائل بين الشيئين، كأن بينهما بَرازاً متسِعاً من الأرض، ثم صار يقال لكل حائل وحاجز: برزخ، يقول -تعالى-: **{بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ}** [الرحمن: 20]، **{وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا}** [الفرقان: 53] يعني: كما قال: حاجزًا، **{وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا}** [النمل: 61]، فالبرزخ هو: الحاجز، بصرف النظر عن هذا الحاجز ما هو، هل هو من اليابسة أو من غيرها، لكنه الحاجز، وقوله: **{وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}** [المؤمنون: 100]، البرزخ: القبر، فحياة البرزخ، والحياة البرزخية ترجع إلى هذا: حاجز بينهم وبين الرجعة إلى الدنيا، باقٍ إلى يوم القيامة، أو أنه بين بين يعني: بين الدنيا والقيامة، فيقال له: برزخ، مرحلة ومنزلة بين المنزلتين، فهذا يرجع إلى معنى: الحائل، والله أعلم.

قال -رحمه الله تعالى-: بديع: له معنيان: جميل، ومُبدع أي: خالق الشيء ابتداء.

هذه المادة ترجع إلى أصلين عند ابن فارس -رحمه الله-:

الأول: ابتداء الشيء، صُنع الشيء لا عن مثال سابق.

والآخر: الانقطاع والكلال، ولاحظ الآن: أين سيأتي الجميل الذي ذكره ابن جُزي؟ ابن فارس أرجعها إلى معنيين: ابتداء الشيء، مصنوع على غير مثال، وكذلك المعنى الآخر: الانقطاع والكلال.

فالانقطاع والكلال بأي اعتبار؟ يقال: أُبدعت الراحلة إذا كلّت وعطبت، أُبدع بالرجل إذا كلت ركابه، أو قُطعت وبقي منقطعاً به، يعني: هلكت راحلته وبقي بلا مركوب، في صحيح مسلم: أن رجلاً جاء للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: أُبدع بي فاحملني**([[2]](#footnote-2))**، أُبدع بي يعني: حصل له انقطاع، بأن هلكت راحلته، فهذا بمعنى: الانقطاع.

ففي قوله -تبارك وتعالى-: **{بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}** [البقرة: 117]، ما معناه؟ الخالق الموجد على غير مثال سابق، **{قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ}** [الأحقاف: 9] يعني: ما كنت رسولاً على غير سَنَن من تقدمني من الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ما كنت طارئاً جديداً في هذا الأمر، فقد سُبقت بإرسال الرسل، أو ما كنت مبتدعاً من تلقاء نفسي، كما يقول بعض المفسرين، **{مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ}** يعني: مبتدعاً ذلك الذي أدعو إليه، **{إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ}** [الأحقاف: 9]، فهنا يقال للشيء الجديد، **{وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا}** [الحديد: 27] يعني: اختلقوها، ومنه قيل: البدعة، فهي: مختلقة على غير مثال سابق، هذا في أصل الاستعمال.

طيب، الشيء البديع، الناس يقولون: بديع، هنا ذكر الجمال بهذا الاعتبار، يقولون: هذا صنع بديع، يعني: جميل، فهو يرجع إلى معنى: الابتداء، يعني: لا مثال له، كأنه منفرد دون غيره بهذه الأوصاف، تقول: هذا منظر بديع لا نظير له، لاحظتم معنى: الجمال من أين جاء؟ فهذا معنى مباشر، لكن ليس أصل المعنى، أصل المعنى: الابتداء، فحينما تتمرن على مثل هذا، وإرجاع الألفاظ إلى أصولها، تستطيع أن تلمّ شعث كثير من الألفاظ، والاستعمالات، فإذا قرأت في القواميس تستطيع أن ترجعها إلى أصلها، حتى ما يذكره ابن فارس -رحمه الله- مما يرجعه إلى أصلين أو ثلاثة أو أربعة، أحياناً قد يمكن إرجاعه إلى معنى واحد، فبعض العلماء يرجعه إلى معنى واحد، وذكرت لكم مثالاً، وستأتي أمثلة أخرى -إن شاء الله-، وأحياناً قد لا يجد الإنسان من صرح بهذا، يعني: من أرجعه إلى معنى واحد، وابن فارس -رحمه الله- أحياناً يُرجعه إلى أربعة أصول، ولكن لا يتجاسر المقصر أن يجترئ فيقول: إن ذلك يرجع إلى معنى واحد، ولكن نذكر في معاني الأسماء الحسنى كلام أهل العلم أحياناً مما يُشعر أن ذلك يرجع في النهاية إلى معنى متحد، والله تعالى أعلم.

قال -رحمه الله تعالى-: بَسَر: عبس ومنه: **{بَاسِرَةٌ}** [القيامة: 24].

بسر يقول: عبس، وابن فارس يُرجع ذلك إلى أصلين:

الأول: الطراءة وأن يكون الشيء قبل إناه.

والأصل الثاني: وقوف الشيء، وقلة حركته.

الطراءة: الشيء الطري، وأن يكون الشيء قبل إناه، هذا المعنى الأول، يقولون لكل شيء غَضٍّ: بَسْر، فنبات بَسْر: إذا كان طريًّا، ماء بَسْر: إذا كان قريب عهد بالسحاب، يقال: بَسَر الرجلُ الحاجة: إذا طلبها من غير موضع الطلب، وهكذا أيضاً يقولون: البَسُر يعني: حينما تُنكَأ القرحة أو الجرح بعدما يكون قد التأم، لكن لم ينضج بعد، يعني: ما عليه من قشرة، فإذا أُزيلت قبل أوانها فإن ذلك يقال له: بَسْر، إذا نكأها، يقولون: البَسُر: أن يُنكَأ الحِبن قبل أن ينضج، الدُمَّل مثلاً، ونحو ذلك.

والبُسْر: التمر يُرطِب، قيل له ذلك: لغضاضته، مع أن بعضهم يقول: إذا كان قبل أوانه يقال له: بُسْر، ولكن المشهور: أنه يقال له قبل أن يُرطِب يقال له: بُسر، قبل أن يُرطب، لكنه يكون قد نضج، وذلك إذا ظهر فيه اللون، لكن قبل أن يُتمر، أو قبل أن يُرطب -يكون رُطباً- فإنه يكون بسراً، وبعضهم يقول: قبل أوانه، قبل نضجه، فيكون قبل اللون، لكن المشهور: ما ذكرته أنه التمر قبل أن يُرطب، يقال له ذلك؛ لغضاضته، يقال له: بُسْر؛ ولذلك نلاحظ أننا أحياناً نقول: كلمة مبتسرة، وتعليق مبتسر، لماذا قيل له مبتسر؟ لأنه قصُر عن الوفاء بالغرض والمعنى، فنقول: كلمة مبتسرة، وكتابة مبتسرة، وتعليق مبتسر، ونحو ذلك؛ لأنه لا يفي بالغرض، لا يفي بالمعنى، فقصُر عن بلوغ الإيضاح والبيان والشرح الذي يحتاج إليه، فلاحظ هنا: هذا هو الأصل الذي هو: الطراوة.

الأصل الآخر الذي هو: وقوف الشيء، وقلة الحركة، يمكن أن يرجع إليه الكلام المبتسر هذا أيضاً، باعتبار: أنه توقف قبل بلوغ التمام، هذا يحتمل، قال: بَسَر الرجلُ وجهه: إذا قبضه، فقوله -تعالى-: **{ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ}** [المدثر: 22] أي: قبض وجهه، ويقال للمركب إذا وقف: أبسر، وأبسرت الدابة: وقفت، وأبسرت السفينة يعني: وقفت، وهكذا.

فقوله -تبارك وتعالى-: **{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ}** [القيامة: 24]، فُسر بكالحة ومتغيرة، يعني: لما فيها من الانقباض؛ لأن ذلك يظهر عليها؛ ولهذا فإن قوله -تبارك وتعالى-: **{ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ}** [المدثر: 22]، يعني: نظر بكراهة شديدة، أو كلَحَ، وتغير، **{ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ}** [المدثر:22]، يعني: كلح وتغير، نظر بكراهة، فهذا يرجع إلى أي المعنيين؟ هل إلى الطراوة أو إلى معنى: وقوف الشيء وقلة الحركة؟ يرجع إلى وقوف الشيء وقلة الحركة، فابن جُزي -رحمه الله- جاء بالمعنى المباشر، بسر: عبس.

قال -رحمه الله تعالى-: بصير: من أبصر، يقال: أبصرته، وبصُرت به، والبصائر: البراهين، جمع بصيرة.

ابن جُزي هنا كأنه فسر ذلك بشيء واحد، وابن فارس أرجعه إلى أصلين:

الأول: العلم بالشيء، فيقال: هو: بصير به، ومن هذا يقال: البصيرة، فالبصيرة تستعمل استعمالات ترجع إلى هذا المعنى، حتى إنها تقال: للقطعة من الدم إذا وقعت بالأرض واستدارت، يقال لها: بصيرة، والبصيرة تقال: للتُرس أيضاً لاستدارته، وتقال البصيرة أيضاً: للبرهان، كل ذلك يرجع إلى معنى: وضوح الشيء، فقوله: **{وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً}** [الإسراء: 12] يعني: بينة واضحة، التي هي: الشمس، **{وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً}** [الإسراء: 59]، ليس معناها: أنها توصف بالإبصار، أنها تُبصر، أو لها أعين، أو لها حاسة البصر، لا، ليس ذاك، مبصرة يعني: بينة وواضحة، فهذا كله يرجع إلى معنى: الوضوح، رأيته لمْحاً باصراً، يعني: ناظراً بتحديق شديد، يُبصر الأشياء بجلاء، يقال: بصُرتُ بالشيء: إذا صرتَ به بصيراً عالماً، وأبصرته ويقال: رأيته.

والأصل الآخر: بُصْر الشيء يعني: غلظه، ومنه: البَصْر، وهو كما يقولون: أن يُضم أديم إلى أديم فيُخاطان كما تُخاط حاشية الثوب، يعني: على طبقتين، فهذا يقال له: البَصْر، فهذا يدل على: الغلظ، لكن مثل هذا لم يرد في القرآن، والله تعالى أعلم.

ولو أن أحداً أراد أن يجمع المعنيين، ويُرجع ذلك فإن هذا قد يتوجه، كما قد يتضح في الأمثلة، لاحظ الآن: البصيرة هي: نور القلب الذي يستبصر به، فهذه: قوة، ووضوح شديد في الرؤية، فيقال لها: البصيرة، يرى الأشياء على حقيقتها، يرى الحق والباطل، فهي نور القلب، كما أن البصر: نور العين الذين به تبصر، فهذا كله يرجع إلى معنى: الوضوح، والظهور، سواء كان في الأمور الحسية، أو في الأمور المعنوية، الأمور المعنوية: بصيرة القلب، والحسية هي: بصر العين؛ ولهذا تقال البصيرة: للحجة، يقال: البصيرة يعني: الحجة الواضحة، والبينة الواضحة، والعبرة التي يُعتبر بها، والشاهد يقال له: بصيرة.

ففي قوله -تبارك وتعالى-: **{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ}** [يوسف: 108] يعني: رؤية واضحة، ليس بها خفاء، وليست آراء وأذواقًا ومواجيد، **{بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}** [القيامة: 14]، شاهد عليها بما عملت، فهو يعرف حاله تمام المعرفة، لا يخفى عليه من ذلك شيء، **{تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}** [ق: 8] أي: تبصيراً، فهذا بمعنى: العلم، **{فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}** [العنكبوت: 38]، يعني: المستبصر هو: العاقل الذي يمكنه التمييز بين الحق والباطل، لم يحصل هذا الصدود والانحراف لأغرار وجهلة، لا يفهمون، ولا يفقهون، وليس عندهم عقول، لا، بل كانوا مستبصرين، وقع الانحراف وعندهم كمال القدرة على التمييز، **{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ}** [الأنعام: 104] يعني: براهين، **{فَمَنْ أَبْصَرَ}** [الأنعام: 104] يعني: أدرك الحق وعرفه، **{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ}** [الكهف: 26]، هذه صيغة تعجب تدل على شدة إدراك المبصرات والمسموعات، **{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ}** [مريم: 38] كذلك، **{رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا}** [السجدة:12] خلاص، ظهر لهم، واستبان الحق الذي كانوا يجادلون فيه، **{وَأَبْصِرْهُم فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}** [الصافات: 175] يعني: انظر إلى عاقبة أمرهم فسوف يبصرونها، وقيل غير ذلك، يعني: يبصرون العاقبة التي يصيرون إليها، **{وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}** [الصافات: 179] أي: أنه يُبصر وهم كذلك سوف يبصرون ما لا يحيط به الذكر والوصف من صنوف المسرة وأنواع المساءة، وهكذا في سائر الأمثلة، يعني: في قوله -تبارك وتعالى-: **{أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}** [الأنبياء: 3] يعني: يحتمل أنكم تحضرون السحر وأنتم تشاهدون أو وأنتم تعلمون أنه سحر، **{أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}** [النمل: 54]، وأنتم تعلمون أنها فاحشة لم تُسبقوا إليها، ويحتمل أن يكون بصر العين؛ لأنهم كانوا يأتون في ناديهم المنكر، كما قال تعالى: **{وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ}** [العنكبوت: 29]، يفعلون الفاحشة أمامهم وفي مجالسهم -قبحهم الله-، فيبصرها بعضهم من بعض، **{يُبَصَّرُونَهُمْ}** [المعارج: 11]، يعني: الأقرباء والأخلاء يُبصِر بعضهم بعضاً، يعني: ببصر العين، يراه يوم القيامة، لكن لا يكلمه، ولا يشتغل به، **{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ}** [النحل: 77]، **{فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}** [ق: 22]، **{فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا}** [الأنبياء: 97]، **{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}** [النور: 30]، هذا بصر العين.

إذن: هذا كله يمكن أن يرجع إلى معنى: القوة والشدة في الظهور والوضوح، فهو يطلق على العلم القوي المضاهي لإدراك الرؤية التي هي: البصيرة، والله أعلم.

قال -رحمه الله تعالى-: برز: ظهر، ومنه: **{بَارِزَةً}** [الكهف: 47]، و**{بَارِزُونَ}** [غافر: 16].

البروز بمعنى: البُدوّ والظهور، **{وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}** [البقرة: 250]، يعني: خرجوا، **{قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}** [آل عمران: 154]، خرجوا يعني، **{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ}** [النساء: 81] يعني: خرجوا من عندك، **{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا}** [إبراهيم:21]، خرجوا من قبورهم، كما يقول بعض المفسرين، أو ظهروا بسيئاتهم، فهو بمعنى: الظهور، سواء قيل هذا أو هذا، **{وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}** [إبراهيم: 48]، **{وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ}** [الشعراء: 91] يعني: ظهرت، ورأوها بارزة لا خفاء فيها، **{وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً}** [الكهف: 47] يعني: ليس عليها ما يسترها، لا شجر، ولا جبل، ولا غير ذلك، **{يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ}** [غافر: 16]، أي: ظاهرون.

قال -رحمه الله تعالى-: بَطْشٌ: أَخْذٌ بشدة.

بَطْشٌ أو بَطَشَ: أَخَذَ بشدة، فهذا كله يدل على: أخذ الشيء بقهر وغلبة وقوة، **{أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا}** [الأعراف: 195]، البطش: الأخذ بقوة وبشدة، **{وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ}** [الشعراء: 130]، ويقال: فلان صاحب بطش أي: أخذ شديد، **{فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا}** [القصص: 19] يعني: بمعنى: أن يأخذه بقوة وشدة، **{فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا}** [الزخرف: 8]، **{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى}** [الدخان: 16]، فكل هذا بمعنى: الأخذ بشدة، **{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}** [البروج: 12].

قال -رحمه الله تعالى-: بَخَس: نَقَص.

هو كذلك يرجع إلى معنى: النقص، **{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ}** [يوسف: 20] بمعني: ناقص وقليل، **{وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ}** [الشعراء: 183] يعني: نقص الناس، سواء كان ذلك في المكاييل والموازين الحسية: إذا كالوا أو وزنوا، أو كان ذلك في الأمور المعنوية: يغمطه حقه، ويبخسه حقه، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((الكبر بَطَر الحق وغمْط الناس))**([[3]](#footnote-3))**، فهذا من البخس، تقول مثلاً: فلان ليس عنده مروءة، أو ليس عنده خلق، أو ليس عنده كرم، أو ليس كذا، وهو ليس كذلك، هذا يكون من النقص، أو تقول: فلان ليس عنده علم، أو نحو هذا؛ لأنك تخالفه، فهذا من بخس الناس أشياءهم، فهكذا: **{وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}** [الشعراء: 183]، فهذا كله بمعنى: النقص، **{فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا}** [الجن: 13]، لا يُنقَص.

قال -رحمه الله تعالى-: بعْل: له معنيان: زوج المرأة، وجمعه: بُعولة، والبعل أيضا: الرب، وقيل: اسم صنم، ومنه: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا} [الصافات: 125].

هنا كم معنى ذكره ابن جُزي -رحمه الله-؟، ذكر: زوج المرأة، والرب، وذكر هذا الاحتمال أنه: صنم، أما ابن فارس فأرجعه إلى ثلاثة أصول:

الأول: الصاحب، ومن هنا قيل للزوج: بعل، باعتبار: أنه صاحب للمرأة، لاحظ: فهو بمعنى: صاحب أوسع من معنى: زوج، يقول: وكانوا يسمون بعض الأصنام: بعلاً، لاحظ: أرجعه إلى معنى: الصاحب؛ لملازمتهم، ومصاحبتهم، وعبادتهم له، ومن ذلك البِعَال، وهو: ملاعبة الرجل أهله، يُباعل أهله يعني: يلاعبهم، بات مُباعلاً يعني: ملاعباً.

الأصل الثاني يقول: جنس من الحيرة، والدَّهَش، يقال: بَعِل الرجلُ: إذا دهش، ويقول: ولعل منه قول العرب: امرأة بَعِلَة: إذا كانت لا تُحسن لُبس الثياب، يعني: لعدم إحسانها كأنها في حال من الحيرة، أو لأنها لا تحسن التصرف.

الأصل الثالث: البعل من الأرض: المرتفعة التي لا يصيبها المطر في السنة إلا مرة واحدة، هذا ما ذكره ابن فارس، ويقال البعل أيضاً: للنبات الذي يشرب بعروقه من الأرض من غير سقي السماء، والناس أيضاً يقولون ذلك لما لا يُسقى بمئونة، يعني: الذي ينزل عليه المطر، وهذا يستعمل إلى اليوم، يقال: هذا بعل، يعني: أنه على المطر، لا يسقونه، وفي الحديث: ((فيما سقت السماء والأنهار والعيون أو كان بعلاً العُشر))**([[4]](#footnote-4))**، فهذا كله يقال له: بعل، سواء الذي يُسقى بالمطر، أو يشرب بعروقه من الأرض، ولا يحتاج إلى سقي.

فهذه ثلاثة أصول ذكرها ابن فارس -رحمه الله-، قوله -تبارك وتعالى-: **{وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ}** [البقرة: 228]، ما معناه؟ الأزواج، **{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا}** [النساء: 128]، من زوجها، **{وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ}** [هود: 72] يعني: زوجي، **{أَتَدْعُونَ بَعْلًا}** [الصافات: 125]، قيل: اسم صنم معبود، **{وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ}** [النور: 31] يعني: لأزواجهن، لكن هذا النبات الذي يُسقى من مطر، أو يشرب بعروقه، أو نحو ذلك، هذا ليس له ورود في القرآن، وهكذا أيضاً ما يتعلق بالحيرة، والدَّهَش، ليس له ورود في القرآن، فعلى ما ذكره ابن جُزي فذلك أصل واحد، يعني: الذي ورد في القرآن يرجع إلى معنى: الصاحب، كالزوج، ونحو ذلك.

قال -رحمه الله تعالى-: بهجة: حُسن، وبهيج: حَسن.

البهجة بمعنى: السرور، والنضرة، والنبات البهيج يعني: الناضر الحسن، هذا معنى: البهجة، وتقول: أدخلت عليه البهجة يعني: السرور، فقوله -تبارك وتعالى-: **{فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ}** [النمل: 60] يعني: جميلة، فالذي ينظر إليها يُسر؛ ولذلك الناس يخرجون إلى هذه المروج، والأماكن التي يكون فيها النبات، والخضرة، وما إلى ذلك؛ لما يحصل للنفس فيها من الابتهاج، يعني: السرور، ونحو ذلك؛ فلهذا تقول: منظر يُبهج، ومُبهج، وهو: ذو بهجة، {وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج: 5]، **{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}** [ق: 7]، أي: ناضر حسن جميل.

قال -رحمه الله تعالى-: مُبلسون: جمع مُبلس، وهو: البائس، -وفي النسخة الأخرى: اليائس-، وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته، وقيل: الحزين النادم، ومنه: {يُبْلِسُ} [الروم: 12]، ومنه: اشتُق إبليس.

الإبلاس يرجع إلى معنى: اليأس، أبلس الرجل: إذا يئس، هنا قول ابن جُزي -رحمه الله- بأنه: جمع مُبلس، وهو: البائس، وقيل: الساكت الذي انقطعت حجته، الواقع: أن هذا يرجع إلى نفس المعنى، يعني: هذا الذي سكت ما الذي أسكته؟ يأسه، لم يبقَ له مساغ، فهذا العاقل يسكت إذا انقطعت حجته، لكن في الكلام على آداب الجدل والمناظرة يذكرون: أن من الناس من خف عقله، فإذا انقطعت حجته رفع صوته، ولربما بدأت يده تتحرك، ولربما امتدت إلى مناظره، فقبض لحيته، أو ضربه، أو قذفه في عرضه، أو نحو ذلك، فهذه حينما تنقطع الحُجج تعلو الأصوات، ولربما امتدت اليد، أو قاربت، يعني: يبدأ يحرك يديه؛ لأنه الآن لم يبقَ عنده حُجج، فهو يريد أن يُعبر بأي طريق كان، ولو بحركة اليد، فهذا الإبلاس.

يقول: وقيل: الحزين النادم، الحزين النادم لماذا كان حزيناً، ونحو ذلك؟ لأنه يكون منقطعاً، يئِس.

يقول: ومنه: اشتُق إبليس، هذه كلها معانٍ متقاربة، أو متلازمة، متلازمة بمعنى: أنه صار إلى هذه الحال؛ لأنه يئس، أو انقطع، أو نحو ذلك.

ففي قوله -تبارك وتعالى-: **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ}** [الروم: 12]، هنا قال: جمع مُبلس، وهو: اليائس، وهي: البائس في النسخة الأصل، **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ}** [الروم: 12] يعني: يكونون في حالة من الوجوم والسكوت، لماذا؟، لِمَا حصل لهم من الانقطاع، يعني: سكوت يأس، فتجده ساكتًا، يعني: وقع في مغبِّة فعله، ولم يبق له حجة، ونطقت جوارحه، وشهد عليه سمعه وبصره ويده ورجله، وما إلى ذلك، ولم يبقَ إلا الانقطاع، وقوله: **{وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ}** [الروم: 49] يعني: واجمين متحسرين، يائسين من كل خير، **{أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}** [الأنعام: 44] أي: متحسرون واجمون يائسون، يئسوا من كل خير، **{حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}** [المؤمنون: 77]، كما سبق، **{لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}** [الزخرف: 75]، كل هذا بمعنى: اليأس، أو ما يلزم عنه من هيئة الإنسان اليائس، كالوجوم، الحزن، الكآبة، السكوت، فهذه كلها لوازم لليأس، يعني: لو كان عند الإنسان مساغ لعمل كل ما استطاع.

قال -رحمه الله تعالى-: بُهت: انقطعت حجته.

البَهْت يدل على: التحير، وابن فارس يقول: الدَّهَش، فهذا بمعنى: الانقطاع، **{فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}** [البقرة: 258]، يعني: انقطع؛ لمّا ناظره إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، يعني: تحير، فلم يكن عنده جواب، أصابته الدهشة، فهذا كله بمعنى: متقارب، وقوله: **{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}** [النور: 16]، لاحظ: قال: بهتان عظيم، لماذا قيل له: بهتان؟ البهتان هو: الباطل الشنيع، وقد يطلق على الكذب الواضح البيّن الكبير الشنيع؛ لأنه يَبهت ويُحير، يَبهت، فهذا بهتان، **{وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ}** [الممتحنة: 12] يعني: بصرف النظر عن أقوال المفسرين في هذا البهتان، لكنه يرجع إلى شيء واحد، وهو: فرية مختلقة شنيعة، سواء كان ذلك بدعوى تدعيها، من ولد ليس للزوج تحمله في بطنها، بين يديها ورجليها، فتنسبه إلى الزوج، وهو ليس منه، وهي تعلم، أو غير ذلك مما ذُكر في معناه، **{فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}** [النساء: 112]، وفي قوله -تبارك وتعالى-: **{بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ}** [الأنبياء: 40]، تبهتهم يعني: تصيبهم الدهشة، وتفاجئهم، فيقعون في حال من التحير.

قال -رحمه الله تعالى-: تبارك: من البركة، وهي: الكثرة والنماء، وقيل: تقدس.

البركة: يمكن أن ترجع إلى معنى: ثبات الشيء، وما إلى ذلك مما يقارب هذا المعنى، ما يقاربه من الكثرة، والنماء، والزيادة، ونحو ذلك؛ ولهذا يقال: تبارك مثلاً: تكاثرت البركات والخيرات من قبله، تبارك الله: عظمت بركته وكثرت بركته، وثبتت، فهذا يستلزم عظمته وتقدُّسه -تبارك وتعالى- عن كل ما يليق بجلاله، لاحظ: التَّقدُّس يعني: كأنه من لوازمه، فهنا ذكر ابن جُزي: تقدس فقال: وقيل: تقدس، فكأنه من لوازمه، فهذا الرب -تبارك وتعالى- تعاظمت وتكاثرت بركته فتقدس.

في قوله -تبارك وتعالى-: **{أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** [الأعراف: 54] عظُمت بركته، **{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ}** [الفرقان: 1]، **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}** [الأعراف: 96]، فتكاثُر الخير، ونماء الخير، ونحو ذلك يقال له: بركة، **{وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ}** [مريم: 31]، كذلك أيضاً، **{وَبَارَكَ فِيهَا}** [فصلت: 10] يعني: الأرض، يعني: أكثَرَ فيها البركات، والخيرات، ونمَّاها بها، **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ}** [الأنعام: 92]، كثير الخيرات، والهدايات، كل هذا بهذا المعنى؛ ولهذا لا يقال للمخلوق: تبارك وإنما يقال ذلك في حق الله -تبارك وتعالى-، فهو: مصدر البركة، والخير، فالله تبارك أي: تعاظمت بركته، وتكاثرت، فلا يقال ذلك إلا في حق الله -عز وجل-، لكن المخلوق يقال فيه: مبارك؛ ولذلك لا يصح في الاستعمال مثل ما يقوله الناس فيما درج بينهم يقال: تباركت علينا يا فلان، وتبارك المكان بقدومك، ونحو ذلك، فالبركة من الله.

قال -رحمه الله تعالى-: بلى: جواب يقتضي إثبات الشيء.

بلى هذه: حرف جواب، وهي: مختصة بالنفي، فلا تقع إلا بعد نفي في اللفظ أو في المعنى، فهي تأتي في النفي، ويأتي الكلام على هذا، فهي لا تأتي إلا في النفي لفظاً أو معنى، لا تأتي إلا في سياق النفي لفظاً أو معنى، وتفيد إبطاله -إبطال هذا النفي- فإذا جاءت بلى، أو أجبت ببلى فأنت تُبطل هذا النفي، سواء كان مجرداً، كقوله: **{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا}** لن هذه تفيد النفي، **{أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى}** [التغابن: 7]، فهذا: نفي مجرد، أو كان مقروناً بالاستفهام، أيًّا كان نوع هذا الاستفهام، سواء كان هذا الاستفهام حقيقيًّا، مثل: أليس زيد بقائم؟ فماذا تقول؟ لاحظ: الآن تقول: أليس، فالنفي هو: ليس، وهو مقرون بالاستفهام، فما هو الجواب؟ يقال: بلى، فأنت أبطلت النفي، يكون الجواب: بلى، لو قلت: نعم لما أبطلته؛ ولهذا بعض الفقهاء -رحمهم الله- يقولون: لو أنه أقر عند القاضي فقال مثلاً: أليس قد قضيتُ دينَك؟ فقال: نعم، فيكون إقراراً بأنه قضى دينه، فلو قال: أنا قلت: نعم، وأقصد أنه ليس كذلك لم يقبل؛ لأننا أحياناً نجيب قولك: أليس كذا؟ بقولنا: نعم، ونقول: أليست هذه داركم؟ فتقول: نعم، يعني: معناها: أنك تقول: ليست هي، فتُقر النفي، وإنما الجواب: بلى، فتبطل النفي، يعني: هي دارنا، بصرف النظر عن صحة كلام بعض هؤلاء الفقهاء.

على كل حال: الأقرب -والله أعلم- في هذه المسألة الفقهية في باب الإقرار: أنه على ما أراد من غير قصدٍ للاحتيال، يعني: نحن نقول: العبرة بالمقاصد مع اعتبار الألفاظ، لكن فيما لا يكون احتيالاً، فهذا إذا كان درج في لغتهم -وإن كان خطأ- أو في عادتهم، أو في عرفهم، أو في استعمالاتهم في الكلام أنهم يقولون: نعم، ويقصدون معنى: بلى، فهنا يُحمل كلامه على هذا، ولا يحاسب على ألفاظ لم يسمع أو لم يعرف أو لم يفقه المراد بها، فالعوام لا يدركون هذا، فتضيع الحقوق بسبب ذلك.

ففي قوله -تبارك وتعالى-: **{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}** [القيامة: 4]، لاحظ هنا: **{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}** [القيامة: 4]، وقوله: **{أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى}** [الأعراف: 172]، فهذا بعد استفهام تقريري، يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: لو قالوا: نعم لكفروا، لماذا؟ قلنا: لأنه يكون ذلك إثباتًا للنفي، لو قالوا: نعم لكفروا، فهو: تصديق يكون للخبر بنفي أو إيجاب، يعني: نعم، وقوله: **{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}** [الزخرف: 80]، "أم يحسبون" لاحظ: جاءت بعد الاستفهام، فهو: نفي في المعنى، **{أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ \* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}** [القيامة: 4]، "أيحسب" فهذا نفي في المعنى، وقد يكون النفي في اللفظ، مثل: أليس كذا؟، وألم؟، وغيرها، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

1. **- أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن، رقم: (6369).** [↑](#footnote-ref-1)
2. **- أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، رقم: (1893).** [↑](#footnote-ref-2)
3. **- أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم: (91).** [↑](#footnote-ref-3)
4. **- أخرجه أبو دواد، كتاب الزكاة، باب صدقة الزرع، رقم: (1596)، والنسائي، كتاب الزكاة، باب: ما يوجب العشر، وما يوجب نصف العشر، رقم: (2488)، وابن ماجه، كتاب الزكاة، باب صدقة الزروع والثمار، رقم: (1817)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود – الأم: (5/ 311)، رقم: (1421).** [↑](#footnote-ref-4)